المتعلم ذو الاحتياجات الخاصة، الإعاقة الذهنية نموذجا

أية استراتيجية للإدماج؟

عبد اللطيف الفحصي
أستاذ التعليم الثانوي التأهيلي
المختبر الجهوي للبحث التربوي
الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين طنجة - تطوان

تمهيد

تتمثل إحدى المشكلات الكبرى التي تواجه العالم اليوم في تزايد أعداد المحرومين من المشاركة الفعالة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية لمجتمعهم، الذي يصبح من تم مجتمعا تنقصه الكفاءة ويعوزه الأمان.

فمن خلال العديد من المؤتمرات و المحافل الدولية، جعل المجتمع الدولي توفير التعليم للجميع هدفا له، وهو الهدف الذي تقوم عدة حكومات ومنظمات دولية ووطنية بالعمل على تحقيقه، وخاصة تلبية احتياجات الأطفال المعرضين للتهميش والاستبعاد بصورة عاجلة، وذلك من خلال توفير فرص تعليمية تتلاءم مع أوضاعهم، ونستحضر في هذا المقام جليا، مفهوم التعليم الجامع، الذي ينبني تصوره على : «أن المدارس ينبغي أن تقبل جميع الأطفال المعاقين والموهوبين وأطفال الشوارع والأطفال العاملين المنتمين إلى مجتمعات نائية أو جماعات البدو، أو إلى أقليات لغوية أو إثنية أو ثقافية، والأطفال الآتين من مناطق أو جماعات أخرى محرومة أو مهمشة»[1].

نفهم من ذلك أن الركيزة الأساسية للتعليم الجامع هو حق الإنسان في التعليم، وخصوصا حق الأطفال جميعا في التمتع بتعليم لا يميز بينهم على أساس الإعاقة أو الانتماء الإثني أو على أي أساس آخر...

وإدراكا للاحتياجات الخاصة للطفل المعاق، وجب ضمان حصوله فعلا على التعليم والتدريب وخدمات الرعاية الصحية وخدمات التأهيل والإعداد.

في ضوء كل ذلك، ومع تطور الفكر العلمي والإنساني، باتت النظرة إلى الإعاقة تتطور في الاتجاهات الايجابية التي أصبح معها الطفل، ذي حاجة خاصة، يحظى باحترام وتقدير من الجميع، وتَمَّ الانتقال من نظرة سلبية للمعاق ولمشاكله، باعتباره ضحية لا يمكنه التخلص من عيوبه، إلى نظرة أكثر تفاؤلا. وإذا أخذنا بعين الاعتبار النِّسب المهمة التي بدأت تحتلها الإعاقة

1- بيان وإطار عمل مؤتمر اليونسكو بسالامنكا 1994 بشأن الاحتياجات التربوية الخاصة، الفقرة 3.

في مجتمعنا، يصبح بديهيا أن يتصاعد الاهتمام بهذه الفئة بغرض تسهيل حياتها، بل وإمكانية توظيفها واستثمار طاقاتها في العمل والإنتاج بصورة تؤدي إلى تحقيق الاندماج الاجتماعي لهذه الفئة ونموها الفردي، بما في ذلك النمو الثقافي والروحي على أكمل وجه ممكن.

عندما اعتبر المغرب المتعلم محور العملية التعليمية التعلمية لم يقص من اهتمامه أي فئة متعلمة، كيفما كان وضعها، خصوصا وأن المتعلمين في المدرسة المغربية لا يشكلون وحدة متجانسة في ظل اختلاف الظروف الإجتماعية والنفسية لمختلف أصنافهم، لذا عملت وزارة التربية الوطنية على تكريس حق التربية والتعليم لجميع الأطفال ذوي الحاجيات الخاصة تماشيا مع التوجيهات الملكية السامية وطبقا كذلك للمرجعية الدولية والوطنية، ومنظور اليونسكو حول المدرسة للجميع. ولم يقف الميثاق الوطني للتربية والتكوين عند حدود الدعامة الرابعة عشرة، بل تجاوزها إلى إبرام شراكات بين مصالح التربية والتكوين والسلطات الحكومية الأخرى المعنية والهيئات ذات الاختصاص على أوسع نطاق ممكن، وحث جميع مديري المصالح المركزية على الأخذ بعين الاعتبار وجود التلاميذ المعاقين وحاجياتهم الخاصة عند إعداد برامجهم القطاعية، وعززت اتفاقية الشراكة بين الوزارة والمندوبية السامية للأشخاص المعاقين آنذاك، بتاريخ 6 أكتوبر 1996 المحَيَّنة بتاريخ 30 مارس 2004 إجراءات تحسين الخدمات التربوية، والاجتماعية والصحية لهذه الفئة، والكفيلة بالاستجابة لمختلف الحاجيات المعبر عنها في مجال الدمج المدرسي من قبيل : تأهيل الفضاء المدرسي، التكوين، الوسائل الديداكتيكية، التوعية والتحسيس، والتعاون مع الأطراف الأخرى...

يعتبر الطفل المعاق ذهنيا من أكثر الأطفال عُرضة للتهميش ؛ حيث يظل بعيدا عن منابع المعلومات، وفي وضعية عدم القدرة على اكتساب وبناء المعرفة. وفي انعدام شروط تربوية ايجابية، يعجز عن التحكم في ضوابط ومثيرات الوسط الاجتماعي واستيعابها ؛ مما يجعله يميل إلى الانطواء على نفسه في غياب التواصل والتفاعل مع مكونات محيطه. وأمام استمرار وتكرار وضعيات الفشل هاته، يُكوِّن الطفل المعاق ذهنيا صورة سلبية عن نفسه. وقد أكدت دراسات وأبحاث ميدانية أن استدراك واسترجاع الوظائف المعرفية المختلة ممكنة، وذلك في إطار تربوي اجتماعي تتوفر فيه مجموعة من الشروط الايجابية، خاصة على مستوى تنفيذ الإستراتيجيات الفعالة في مجال الدمج المدرسي لهذه الفئات داخل فصول الدراسة.

من هنا نتساءل، أية استراتيجية ناجعة يمكن بها دمج هذه الفئة داخل فصول الدراسة بشكل يضمن تحقيق الأهداف المسطرة وإعادة الاعتبار لهذه الفئة، وكسب رهان مشروع مواطن الغد كيفما كانت بيئته ووضعيته ؟

المتعلم ذو الإحتياجات الخاصة المعاق ذهنيا، وسؤال المفهوم

من منظور المنظمة العالمية للصحة، تعتبر الإعاقة الذهنية عموما «حالة توقف أو عدم اكتمال نمو العقل، والتي تتسم بشكل خاص بقصور في المهارات، التي تظهر أثناء مراحل النمو والتي تؤثر في المستوى العام للذكاء و القدرات المعرفية، اللغوية، الحركية والاجتماعية».

والمتعلم في وضعية إعاقة ذهنية هو الطفل الذي يتدنى مستوى أدائه عن أقرانه بشكل ملحوظ في مجال من مجالات الأداء، وبشكل يجعله غير قادر على متابعة الآخرين، إلا بتدخل خارجي من الآخرين، أو بإجراء تعديل كلي في الظروف المحيطة به. ويتم التمييز في الإعاقة الذهنية لدى المتعلمين حسب التصنيف السيكوسوسيوتربوي، بين ثلاثة مستويات :

1-الإعاقة الذهنية البسيطة: يتميز متعلمو هذا المستوى بخصائص جسمية وحركية، وبقدرتهم وقابليتهم للتعلم، لكن بمستوى متوسط من القدرات العقلية والمهارات المهنية، يحتاجون في دمجهم إلى برامج تربوية خاصة. وتجدر الإشارة هنا، إلى أن مسألة إدماج الأطفال المعاقين داخل المنظومة التعليمية المغربية، قد توجهت بالأساس إلى هذا النوع من المعاقين.

2-الإعاقة الذهنية المتوسطة: يتميز متعلمو هذا المستوى بخصائص جسمية وحركية قريبة من مظاهر النمو العادي ولكن يصاحبها أحيانا مشاكل نتيجة تأخر في النمو العام، كما تتميز هذه الفئة بقدرتها على القيام بالمهارات المهنية البسيطة، يحتاج أفرادها إلى برامج تربوية خاصة وفي صفوف خاصة. تمثل هذه الفئة من الأطفال كذلك، الانشغال المحوري للمنظومة التعليمية المغربية، بغرض العمل على رعايتها و تأهيلها، للاندماج داخل هذه المنظومة.

3-الإعاقة الذهنية الشديدة: يتميز متعلمو هذا الصنف بخصائص جسمية وحركية مضطربة، مقارنة مع الإفراد العاديين الذين يماثلونهم في السن، كما تتميز هذه الفئة باضطرابات في مظاهر النمو اللغوي، مع قدرات تعلم محدودة جدا للحركة والكلام.

داخل هذا التصنيف يتم رصد مجموعة من السلوكات و الصفات يتميز بها الطفل المتخلف ذهنيا، قد يتقاطع فيها مع أصناف أخرى من الإعاقة، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :

- الردود السلبية والخوف، فهو يشعر بالخوف وفقدان الثقة في العلاقات الاجتماعية مع البالغين ؛
- مشكلات في القدرة على الانتباه والتركيز والتمييز بين المثيرات من حيث شكلها ولونها ؛
- مشكلة التذكر سواء كان ذلك متعلقا بالأسماء أو الأحداث ؛
- فقر مفردات الكلام والإتقان الناقص لمعاني الكلمات ؛
- عدم القدرة على الأخذ بعين الاعتبار اثنين أو أكثر من مصادر الأخبار في نفس اللحظة ؛
- غياب القدرة على إدراك المشكل وتعريفه، وبطء وضيق مجال إدراكه...

كل هذه الخصائص وغيرها تحتاج من المدرسين والمتخصصين فهم شخصية الطفل المتخلف ذهنيا، حتى يمكنهم إشباع حاجاته النفسية والاجتماعية والجسمية، وتنمية شخصيته ونضوجه الاجتماعي.

كما يتم أيضا وفي نفس التصنيف رصد اختلالات وظيفية لدى المتعلمين المتخلفين ذهنيا، بحسب مستويات العمل الذهني، ندرجها في الجدول التالي :

المستويات الذهنية	خصائص العمل الذهني	الإختلالات الوظيفية للإعاقة الذهنية
الأول	يمثل مدخل عملية التفكير، ويضم كل الاختلالات الكمية والنوعية المرتبطة بالمعطيات المجمعة من لدن الطفل، وذلك عندما يكون أمام مشكل أو تجربة أو إثارة.	• عدم القدرة على تحديد وتعريف المشكل. • سلوك استكشافي غير منظم أو متسرع. • غياب أو نقص في القدرة على حفظ وتخزين الثوابت وتوظيفها ونقدها. • غياب أو نقص في إدراك مفاهيم الزمان والتموقع في المكان. • العجز في أكثر من مصدرين للمعلومات...
الثاني	يضم الاختلالات التي ترتبط بعملية التفكير.	• عدم القدرة على تحديد وتعريف المشكل. • عدم القدرة على التمييز بين المعطيات الأساسية والمعطيات الثانوية. • غياب سلوك تلقائي للمقارنة أو التوسع في معالجة المعطيات. • استيعاب متقطع لما يحدث بالمحيط مع غياب التفكير المنطقي و الإفتراضي. • غياب أو نقص في القدرات على تحديد الإطار الضروري لحل المشكلات. • غياب أو نقص في الرصيد اللفظي اللغوي على مستوى التعبير...
الثالث	يهم جانب التواصل والقدرة على تحويل المعطيات المعالجة بالمستويين الأول والثاني إلى استنتاجات وخلاصات تأخذ شكل أجوبة تعبيرية.	• تمركز صيغ التواصل على الذات. • صعوبة ترجمة علاقات صورية بعد تشكيلها. • أجوبة بالمحاولة والخطأ. • سلوك اندفاعي، أو المرور المباغت إلى الفعل التطبيقي.

تتميز هذه المستويات الثلاثة بتداخلها وترابطها، وعلى المدرس أن يتبنى منهجية منظمة لمعالجتها من خلال استراتيجية إدماجية، ترى في التعليم الفردي المتمحور حول المتعلم ذي الاحتياجات الخاصة، أكثر أشكال التدخل التي تتيح رصد الحالة و التخطيط لدمجها بشكل سليم وناجع.

إدماج المتعلم ذي الاحتياجات الخاصة، واستراتيجية التعليم الفردي

يقصد بأسلوب الدمج، تقديم مختلف أنواع الخدمات والرعاية لذوي الاحتياجات الخاصة في بيئة الأشخاص العاديين، وعدم عزلهم عنهم. بهدف :

- تهيئ الفرصة للطفل ذي الاحتياجات الخاصة للتفاعل مع أقرانه العاديين ؛
- تعزيز نمو المجتمع ووعيه في فهم وتقدير الاختلافات أو الفروق الفردية بين الأفراد ؛ ويُميَّز فيه بين ثلاثة أنواع من الدمج :
- **الدمج الكلي:** ويقصد به دمج الطفل ذي الاحتياجات الخاصة مع أقرانه العاديين داخل الفصول الدراسية المخصصة للأطفال الأسوياء.
- **الدمج الجزئي:** ويقصد به دمج الطفل ذي الاحتياجات الخاصة في مادة دراسية أو أكثر مع أقرانه العاديين داخل الفصول الدراسية العادية.
- **الدمج الاجتماعي:** يقتصر على دمج هذا الطفل في الأنشطة التربوية، لبناء شخصية الطفل ذي الاحتياجات الخاصة ومساعدته على التكيف النفسي والاجتماعي والإحساس بذاته.
- **الدمج الاجتماعي:** ويقصد به دمج الطفل ذي الإحتياجات الخاصة في الأنشطة التربوية، لبناء شخصيته ومساعدته على التكيف النفسي والاجتماعي والإحساس بذاته، وتتطلب هذه الطريقة تعبئة وحوارا مستمرا وبناءاً، ومشاركة نشيطة بغرض تقديم الحلول الأكثر ملاءمة لأغلب الحاجات التربوية والتقويمية لهذه الفئة.

وكيفما كان نوع الدمج، فإن عدم تطبيق خطة بيداغوجية واضحة لأي نوع ستجعل منه مجرد تصور يراوح مكانه، وعلى تعدد تلك الخطط في علوم التربية، يمكن اعتبار استراتيجية التعليم الفردي مع المتعلمين ذوي الاحتياجات الخاصة، وخصوصا من ذوي الإعاقة الذهنية، أحد أنجع الإستراتيجيات ؛ لأنها تنبني على الجمع بين توقعات الأطفال وأُسَرهم وسيرورة فعل المدرسين، التي ينبغي أن تتأسس على تقييم دقيق ومستمر لحاجات كل طفل، حتى يتسنى من خلالها تحقيق التكيف.

إن هذا المشروع الفردي، يتوخى احترام خصوصية المتعلم المعاق ورعايته وفق استعداداته التربوية، التي تخضع إلى دراسة حاجات وإمكانات كل فرد على حدة، حيث يمكن اعتبار كل فرد حالة خاصة، ينبغي رعايتها بأساليب ملائمة، كما هو الأمر بالنسبة لتفريد التدخل الذي يعد من أهم مقومات التربية الخاصة. وقد أكد التربويون على أن هذه الإستراتيجية غيرت مسار التربية الخاصة لأهميتها ومميزاتها ونجاعة خطتها كما سنتعرض في الجدول التالي :

الأهمية	الخطة	المميزات
• تعمل بمثابة وثيقة مكتوبة تؤدي إلى حشد الجهود التي يبديها المتخصصون لتربية الطفل ذي الاحتياجات الخاصة وتدريبه، • تؤكد على وجوب العمل مع الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة من خلال فريق متعدد التخصصات. • تقدم الضمانات الكافية لاشتراك والدي الطفل في العملية التربوية الخاصة بوصفهما أعضاء فاعلين في الفريق متعدد الاختصاصات. • تُرغم الاختصاصيين على الأخذ بعين الاعتبار الإنجازات المتوقعة للطفل، وذلك يعني وضع الأهداف للطفل سنويا الأمر الذي يسمح بالتنبؤ بالتحسن في أدائه. • تحدد بوضوح مسؤوليات كل أخصائي فيما يتعلق بتنفيذ الخدمات التربوية الخاصة. • تُرغم الاختصاصيين على تقييم فاعليتهم الذاتية، لاختيار الأساليب الفعالة والملائمة للطفل. • تقوم على تفريد التعليم لكل	• وصف المستويات الحالية للأداء بما في ذلك التكيف الاجتماعي ومهارات العناية بالذات، والمهارات النفسية الحركية. • وصف الأهداف السنوية التي تبين الأداء الذي يتوقع تحقيقه مع نهاية العام. • وصف الأهداف قصيرة المدى والتي يجب أن تكون قابلة للقياس. • وصف الخدمات التي يحتاجها التلميذ بما في ذلك الخدمات التأهيلية والتربوية المباشرة والخدمات غير المباشرة والخدمات الداعمة والوسائل والأدوات التعليمية والتدريبية. • تحديد المعايير الموضوعية والإجراءات التقويمية والجداول الزمنية التي سيتم اعتمادها لتحديد مدى تحقيق الأهداف. • تقديم المبررات التي تكمن وراء اختيار الوضع التعليمي أو التدريبي. • تحديد الأشخاص المسؤولين عن تنفيذ البرامج التربوية والتأهيلية.	• يراعي الفروق الفردية والميول والقدرات. • يستطيع الأستاذ التعرف على مشكلات التلميذ النفسية أو الاجتماعية، أو محاولة إرشاده وتوجيهه لمواجهة مشكلاته. • يساعد التلاميذ في التغلب على كثير من مشكلاتهم الناجمة عن سوء التكيف على المستويات التعليمية أو الانفعالية أو الاجتماعية. • يستطيع كل تلميذ أن يتعلم حسب سرعته دون أن يتقيد بفترة زمنية معينة. • يجنب التلميذ الإحباط والفشل لعدم وجود مقارنة بينه وبين التلاميذ الآخرين. • يستطيع التلميذ أن يبدأ التعلم من حيث مستواه التعليمي. • يستطيع الطفل التعلم، ويستطيع الأستاذ اختيار الطريقة والأسلوب المناسب للوصول إلى الأهداف. • يساعد التلميذ على اكتساب مهارات الاعتماد على النفس والنظام والاستفادة من الوقت وتحمل المسؤولية.

طفل على حدة، ولا يمكن التعامل مع الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة داخل الفصل الواحد كمجموعة متماثلة. • تعمل بمثابة محك للمساءلة عن مدى ملاءمة وفاعلية الخدمات المقدمة للطفل ذي الاحتياجات الخاصة.	ومن خلال هذا البرنامج يستطيع الأستاذ أن يعلم الطفل وبشكل فردي المهارات الاستقلالية التي تعتبر من المهارات الأساسية، والتي تشمل الجوانب الشخصية مثل الاعتماد على الذات، وزيادة ثقته بنفسه، كذلك التكييف الناجح مع البيئة المحيطة.	

غير أن نجاح هذه الخطة يَرتبط وجوبا بوجود فريق متعدد الاختصاصات، تتضافر جهود أفراده، من أجل تحقيق الإدماج المنشود، وعادة ما يتكون هذا الفريق من : المدرس المختص، المشرف التربوي المؤهل، سيكولوجي مدرسي يقوم بالتعرف على مستوى القدرات الذهنية والحالة النفسية للطفل، سوسيولوجي يعمل على التعرف على الظروف الاجتماعية والعلائقية لأسرة هذه الفئة من الأطفال، أولياء الأمور، طبيب نفسي يحدد عوامل الإعاقة والإمكانات الطبية النفسية لعلاجها، طبيب مختص يحدد نوع الإعاقة، الأمر الذي يساعد على التشخيص الموضوعي للإعاقة وتحديد إمكانات وسبل علاجها وتجاوزها، مقوم النطق Orthophoniste، مروض طبي Kinésithérapeute.

خلاصة

إذا كان الميثاق الوطني للتربية والتكوين، قد شدد في توجهاته على العناية بهذه الفئة من المتعلمين، فإن ذلك يتطلب بالأساس مدرسين أكفاء لهذه الغاية، بالإضافة إلى التكوين البيداغوجي الخاص والسعي الدائم إلى عملية تجديد تكوينهم ومعارفهم التربوية والبيداغوجية الخاصة، ذلك أن تربية الطفل ذي الإحتياجات الخاصة والمعاق ذهنيا على الخصوص، هي تربية تتوقف على معارف ومهارات متنوعة ومتداخلة، ولا يمكن للمدرس أن يحقق نجاعة مهمته التربوية، إلا من خلال التكوين الذاتي والمستمر، في مختلف مجالات التربية الخاصة. وإذا كانت وزارة التربية الوطنية قد حددت في مشروعها التكويني، مجموعة من الكفايات التي ينبغي على المدرس أن يكون متمكنا منها، بهدف تكوين أطر تربوية مختصة ومتمكنة من الإعاقة وأسبابها ونتائجها، وواعية بالإجراءات والطرائق البيداغوجية الخاصة التي تمكن من التعامل التربوي المنتج مع هذه الفئة، فإن عملية التكوين تظل محتشمة جدا في منظومة التعليم، باستثناء مساهمات، هنا وهناك، لجمعيات وطنية أو أجنبية... وهو ما يفتح باب التساؤل، على مصراعيه، حول ملف تكوين مدرسي هذه الفئة، وحول أية استراتيجية يتعين اتباعها في هذا المجال؟

المراجع المعتمدة

- **الميثاق الوطني للتربية والتكوين**. يناير 2000.
- المنظمة العالمية للصحة، **التقرير العالمي للإعاقة** 2011.
- عيسوي عبد الرحمن، (1997) «**سيكولوجية الإعاقة الجسمية والعقلية مع سبل العلاج والتأهيل**» ـ موسوعة كتب : علم النفس الحديث ـ دار الراتب الجامعية..
- بوعجرم رانا نديم، (2005)، «**دمج ذوي الحاجات الخاصة وفئة الصعوبات التعلمية**» شركة المطبوعات للتوزيع والنشر. الطبعة الأولى..
- روبنشي س.ي (1989) : «**علم نفس الطفل المتخلف عقليا**» ترجمة بدر الدين عامود منشورات وزارة الثقافة، دمشق.
- KOHLER (C.) : Jeunes déficients mentaux, Bruxelles, Mardaga, 4e édition.1980.
- Mises (R) Approche psychopathologique des déficiences intellectuelles de l'enfant. E.M.C. Paris 1990

قراءات